الذكرى الرابعة لرحيل صوت الجبل وديع الصافي

غنى لسورية وللشام.. الرجل الذي قال: سورية أمّ العروبة وهي ضمير العرب وشرفهم

| وائل العدس

قبل أربع سنوات، غادر صوت الجبل الصوت الصافي وقديس الطرب ومطرب الأرز وعملاق لبنان.

«طلّ الصباح وزقزق العصفور» لكن صوت الجبل لم يستيقظ في ذلك الصباح... إنه الصوت الذي ارتقى إلى مصاف الأيقونة في الذاكرة بعد أن نحت فيها طويلاً، ظلّ محتفظاً بقدراته الخارقة رغماً من تقدّم العمر.

الصوت الصافي المدهش في تركيبة وحدت بين جبروت الجبل وعذوبة السماء، أخذ صاحبه إلى أقاصي الأرض وإلى أعماق الجمال.

وكان الصافي قد تعرض لوعكة صحية خلال وجوده في منزل ابنه، حيث شعر بهبوط حاد في الدورة الدموية، نقل إثره للمستشفى، ولم تفلح جهود الأطباء في إنقاذه، بسبب عدم تحمل قلبه للإجراءات العلاجية.

مدرسة غنائية

كان لوديع الصافي الدور الرائد بترسيخ قواعد الغناء اللبناني وفنه، وفي نشر الأغنية اللبنانية في أكثر من بلد، وأصبح مدرسة في الغناء والتلحين، ليس في بلده فقط، بل في العالم العربي أيضاً، واقترن اسمه بلبنان، وبجباله التي لم يقارعها سوى صوته الذي صور شموخها وعنفوانها، هذا الصوت الماسي العصي على الفناء.

وغنى وديع الصافي أكثر من خمسة آلاف أغنية وقصيدة لحن معظمها ومنها أغنية «طل الصباح وزقزق العصفور»، التي كانت أولى أغانيه عندما هاجر مدة ثلاث سنوات إلى البرازيل في عام ١٩٤٧، وعندما عاد كرت سبحة الأغاني فكان أبرزها «لبنان يا قطعة سما» و«صرخة بطل» و«الليل يا ليلى يعاتبني» و«شاب الهوى وشبنا» و«مريت ع الدار»، و«لوين يا مروان» و«عصفورة النهرين» و«الله يرضى عليك يا ابني» و«الله معك يا بيت صامد بالجنوب» و«موال يا مهاجرين ارجعوا».

كما غنى «طلوا أحبابنا» من الحان الأخوين رحباني ومع فيروز ونصري شمس الدين غنى «سهرة حب» و«يا شقيق الروح» و«عندك بحرية» من ألحان محمد عبد الوهاب و«على الله تعود على الله» من ألحان فريد الأطرش.

سيرة حياته

ولد وديع فرنسيس، المعروف بوديع الصافي، في الأول من تشرين الثاني ١٩٢١ في قرية «نيحا الشوف»، وهو الابن الثاني في ترتيب العائلة المكونة من ثمانية أولاد، كان والده بشارة يوسف جبرائيل فرنسيس، رقيباً في الدرك اللبناني.

عاش وديع طفولة متواضعة يغلب عليها طابع الفقر والحرمان، وفي عام ١٩٣٠، نزحت عائلته إلى بيروت، ودخل مدرسة دير المخلص الكاثوليكية، وبعدها بثلاث سنوات، اضطر للتوقّف عن الدراسة، لأن جو الموسيقا هو الذي كان يطغى على حياته من جهة، ولكي يساعد والده من جهة أخرى في إعالة الأسرة.

بدأت مسيرته الفنية بشق طريق للأغنية اللبنانية التي كانت ترتسم ملامحها مع بعض المحاولات الخجولة قبل الصافي عن طريق إبراز هويتها وتركيزها على مواضيع لبنانية وحياتية ومعيشية.

في عام ١٩٣٨، وبينما كان وديع في عمر الـ١٧، دخل عليه شقيقه توفيق يحمل قصاصة ورق عن إعلان لمسابقة غنائية تنظمها إذاعة لبنان الرسمية، والمعروفة حينذاك بإذاعة «الشرق الأدنى»، فشارك في المسابقة ونال الجائزة الأولى في الغناء من بين ٤٠ متبارياً، ولشدة إعجاب لجنة التحكيم بصوته، وفي مقدمهم رئيسها إميل خياط، طلبت منه الانتساب رسمياً إلى الإذاعة، وأطلقت عليه اسم وديع الصافي، بدلاً من وديع فرنسيس.

استطاع الصافي، وفي فترة قصيرة، إبراز موهبته على أفضل وجه، وكانت أول أغنية فردية له بعنوان «يا مرسال النغم».

أثناء فترة انتسابه للإذاعة، اضطر الصافي إلى أن يحل مكان أحد الشيوخ ليؤذن لصلاة العصر، انهالت بعدها الاتصالات والرسائل على الإذاعة لتسأل من هذا الشيخ صاحب هذا الصوت الشجي.

في أواخر الخمسينيات بدأ العمل المشترك بين العديد من الموسيقيين من أجل نهضة الأغنية اللبنانية انطلاقاً من أصولها الفولكلورية من خلال مهرجانات بعلبك التي جمعت وديع الصافي وفيلمون وهبي والأخوين رحباني وزكي ناصيف وغيرهم، فشارك في مسرحيات العرس في القرية وموسم العز وشكل ثنائياً غنائياً ناجحاً مع المطربة صباح في العديد من الأغاني والاسكتشات.

أراد وديع أن يثبت خطواته الفنية أكثر فأكثر، فحاول ذلك جاهداً أوائل الستينيات، عندما عرض عليه نقولا بدران، والد المطربة ألكسندرا بدران، المعروفة باسم «نور الهدى» في مصر، السفر إليه.

مكث الصافي في القاهرة نحو عام، تعرف خلاله على ملحنين وممثلين مصريين، ليعود إلى لبنان ويتبناه هذه المرة محمد سلمان، زوج المطربة نجاح سلام، وشارك معها في أكثر من فيلم سينمائي، منها «غزل البنات»، ومن ثم مع صباح في «موّال»، و«نار الشوق» عام ١٩٧٣.

مع بداية الحرب اللبنانية، غادر وديع لبنان إلى مصر سنة ١٩٧٦، ومن ثمّ إلى بريطانيا، ليستقرّ سنة ١٩٧٨ في باريس.. وكان سفره اعتراضاً على الحرب الدائرة في لبنان، مدافعاً بصوته عن لبنان الفن والثقافة والحضارة.

سنة ١٩٩٠، خضع لعملية قلب مفتوح، ولكنه استمر بعدها في عطائه الفني بالتلحين والغناء.. فعلى أبواب الثمانين من عمره، لبّى الصافي رغبة المنتج اللبناني ميشال الفترياديس، لإحياء حفلات غنائية في لبنان وخارجه، مع المغني خوسيه فرنانديز، وكذلك المطربة حنين، فحصد نجاحاً منقطع النظير، أعاد وهج الشهرة إلى مشواره الطويل.

يحمل الصافي ثلاث جنسيات المصرية والفرنسية والبرازيلية إلى جانب جنسيته اللبنانية إلا أنه يفتخر بلبنانيته ويردد أن الأيام علمته بأن «ما أعز من الولد إلا البلد».

الصافي وعشق سورية

«إنه عربون محبّتي الخالصة، وترجمة لإيماني وامتناني لدولة سورية الحبيبة قائداً وشعباً... هذا البلد الذي كان ولا يزال سبّاقاً في تقدير وديع الصافي». بهذه الكلمات أطلق الفنان الراحل من دمشق أغنيتين جديدتين، هما «وطن السلام» و«إلاك لا أمل» عام ٢٠٠٨.

وقال إن العملين اللذين غنيتهما وعرضهما التلفزيون السوري يعتبران بمنزلة امتنان لسورية التي لها فضل بارز في مسيرتي الفنية منذ الخمسينيات حتى اليوم، وتحديداً منذ أغنية «عاللوما» التي سجلها في الإذاعة السورية.

ورداً عن سؤال عن وضعه الصحي بعد الوعكة التي ألمّت به أخيراً، واستدعت نقله إلى المستشفى في الشام، حيث كان يشارك ضمن احتفالات دمشق عاصمة الثقافة العربية، قال: «صحتي جيدة الآن، لقد تحسنت هنا في سورية، وأشكر الرئيس بشار الأسد الذي اهتم بي عندما دخلت المستشفى».

وبعد اندلاع الأزمة في سورية، وعند زيارة قام بها إلى دمشق عام ٢٠١٢، أكد أن «سورية أم العروبة والمرجع الأول والأخير لها وهي ضمير العرب وشرفهم».

وقال: «انتماؤنا لهذا البلد العريق كانتمائنا للبنان، فلا فرق بين البلدين وما تتعرض له سورية اليوم هو بفعل الصهيونية العالمية لكنها غيمة سوداء ستزول إن شاء الله، فأنا مؤمن بالشعب السوري وقدرته على تجاوز هذه المرحلة».

وتابع: «أحيي سورية قيادة وشعباً وأتمنى أن تخرج من محنتها سريعاً فالسوريون هم حماة الأرض والعرض وحماة الأمة العربية.

وأضاف: سورية هي دم العرب وشرفهم وبدايتي الفنية كانت منها ولولاها لن تبقى الأمة العربية بخير.

وخلال زيارته الأخيرة إلى دمشق عام ٢٠١٢، أقامت جوقة الفرح حفل تكريم للفنان اللبناني لمناسبة بلوغه التاسعة والثمانين في دار الأوبرا السورية مؤدية مجموعة من أغنياته وألحانه، في حين أنشد المطرب أغنيتين بصوته.

وتوجه الفنان اللبناني إلى الجمهور بالقول: أهلاً بالشعب السوري زهرة العرب.. أهلاً بأهلي رئيساً وشعباً»، وأضاف: «هذا أعظم عيد بحياتي».

أما الدرع التي تسلمها فقد كتب عليها كلمتان «الفرح الصافي» على شكل قلب ونقشت تحتهما عبارة «بل في الزمن ينقش اسمك».

ومن أغنيات الصافي لسورية أغنية «حبيبة عمري سلاماً» ويقول فيها: «وجن الهوى يا شآم، وما يفعل المستهام، عرفت غرامك طفلاً، ولا لن يشيب الغرام».

سورية الحاضرة دائماً

| د. اسكندر لوقا

ليست المرة الأولى التي تنقل وسائل الإعلام المحلية قصة نجاح مواطن عربي سوري في بلاد الاغتراب. ومؤخرا كان لي لقاء مع نبأ يحكي قصة فتاة شابة من سورية «ميشلين يوسف» مقيمة في كندا، قامت بابتكار شخصية افتراضية تحكي واقع الحرب على سورية، ومأساة الأطفال السوريين جراء الحرب على وطنهم الذي غادروه مرغمين تحت وطأة الخوف، ومع هذا لم يغادرهم وطنهم، فبقي عالقا في الذاكرة، كما تؤكد الشابة ميشلين من خلال الشخصية الافتراضية التي ابتكرتها وأطلقت عليها اسم «شام».

و«شام» طفلة صغيرة لم تغادر قريتها الصغيرة يوماً إلى أن هجرته بعد أن عايشت الحرب وأهوالها فاضطرت للنزوح عن بلدها مع أفراد أسرتها.

إن الغرض من هذه الوقفة مع النبأ ليس لمجرد التنويه به كحدث فني، بل كحدث يحكي معاناة أطفال سورية الذين حرموا من متعة الاستمتاع بطفولتهم، وحرموا من تحقيق أحلامهم، وبذلك تكون سورية حاضرة في كل الأمكنة والأزمنة، وقد تجسدت مشروعا وطنيا، إن صح التعبير، يحكي للعالم أهوال حرب شنت على بلد فحرمت أهله من أمنه وأمانه، وشتت العديد منهم في أرجاء المعمورة على حين لا يدري أحد متى يستعيد الوطن الأم ما حرم منه بسبب من الحرب.

وحكاية «شام» الطفلة الباحثة عن ذويها، بعد أن فقدتهم خلال سفرها، تقارب الواقع الذي عانى ويعاني منه السوريون على مدى ما يقارب سبع سنوات، ومن هنا تكتسب حكايتها بعدا وطنيا على قدر ما تكتسب بعدا فنيا، بأمل أن تكون ميشلين يوسف رمزا لمواطن غادر سورية لأسباب باتت معروفة ولكن سورية لم تغادره مهما طال زمن الفراق وبعد المسافات.

إن عملا كهذا، لا يقل شأنا عن رسالة تحمل الكثير من المعاني إذا هي لا مست مشاعر إنسان سأل نفسه لماذا يدفع الأطفال ثمن جريمة ارتكبت بحق وطنهم من دون ذنب ارتكبوه؟

إن الطفولة عمر التلقي، كما نعلم، ومن هنا خطورة ما يغرس في ذاكرتهم البصرية، ومن هنا أيضاً تكمن قيمة المناهج التربوية التي تنأى بهم عن الدخول أو البقاء في نفق الخوف واليأس والتردد وسوى ذلك من عوامل مشابهة. فهل نعي مسؤولياتنا كآباء في بيوتنا ومربين في مدارسنا؟ بأمل أن نسعى جاهدين لإعادة بناء عقول أطفالنا قبل أن تصاب بالصدأ.

وتحية للشابة العربية السورية، الشابة المَثل ميشلين يوسف وفريق العمل معها.

برجك اليوم ١٠/١٧

نجلاء قباني

وقتك محدود ولكي تحصل على أمانيك يجب أن تبذل بعض الجهد حتى ضد رغبتك لأن مزاجك رديء أحياناً ومتكاسل أحياناً وقد تصرف جهدك وطاقتك في زيارات.

قدراتك فائقة في التواصل مع كل الفعاليات الموجودة حولك والسبب أنك محاور جيد وتقتحم الحياة والمستقبل بثقة نتيجة كل الأحداث الجيدة في علاقاتك العملية.

قد تعاني الإحباط والانزعاج بسبب الروتين وعدم التجدد فاليوم لتأثير الآخرين أو تشعر بوعكة صحية تشوش تفكيرك وتؤثر في إنجازاتك وقدراتك فكن أكثر صبرا.

التفاؤل والأمل والرغبة في الإنجاز تتدفق داخلك وتملأ حياتك مفاجآت ومغامرات لتتوضح أمامك الرؤية وتزدهر الاتصالات والحوارات والاجتماعات والسفر.

احرص على مالك ولا تبذره على الرفاهية فأنت وعلى مدى أشهر تصرف أكثر من دخلك فقد تضطر لمصاريف إضافية نتيجة التغييرات الحاصلة وعلى الأغلب في الفرح.

تمتلك طاقة غير اعتيادية وتبحث عن التطوير والتحسين في أمورك المهنية وقد تحول فكرة أو رغبة إلى حقيقة لأنك تعيد وتقيم وتصحح قرارات أخذتها سابقا.

اليوم تسير إلى تسوية قضية أو مواجهة سببت لك الإزعاج وكأنك تحتاج إلى اعتذارات فأنت متعب وقد تسمع أخباراً مزعجة أو يعاتبك الأصدقاء على كلام لم تقله.

أنت تشرع أبوابك للحب وتحضر المناسبات الجميلة والعروض التي تسعدك وربما تتصل وتبادر وتقبل الدعوات أو تسعد لسفر تتمناه فاليوم للحظوظ تأتيك من غرباء.

قد تشعر بتراجع معنوي نتيجة عدائية أو انفعالية من محيطك العملي أو الشخصي فأنت إما عصبي أو عابس أو متشاجر كن أهدأ في ردات فعلك وانتبه على صحتك.

حولك الكثير من البوادر المبشرة أو الحلول لأزمات كنت تعاني منها سابقاً وقد تجد أنك تستحق الحصول على ما تريد أو على أمنية طال انتظارها تفرحك الأحداث حولك.

أنت تميل إلى تقديم المساعدات لأنك ملتزم بصداقاتك الدائمة كتعاطف وكمحبه فأنت تعطي ولا تنتظر أن يطلب منك لكي تمنح مساعدات فلا تتردد في قبولها.

أنصحك بالهدوء وأن تحاول الترفيه عن نفسك بعمل شيء تحبه احذر المشاكل وتصرف بوضوح وذكاء لأن أخطاءك ستتسبب بمشاكل لوقت طويل قلل من نقاشك.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١ – روائي تركي عالمي.
٢ – موسيقي سوري – دمر وهد.
٣ – متشابهان – بناء مرتفع (م) – نعاس.
٤ – قنوط – تعوز – حرف عطف.
٥ – بكاء – ساحات المباريات.
٦ – يسأم (م) – علم مؤنث.
٧ – أخيفهم – أكمل.
٨ – نضيع – محتجز.
٩ – شدة – نصف أزيز.
١٠ – أجزاء السنة – سنون (م).
١١ – شجاع – علم مذكر (م).
١٢ – ممثل مصري – أخلاق.

عمودي:

١ – ممثل مصري – سرور.
٢ – مدينة جزائرية – من الزواحف (م).
٣ – علامة موسيقية – جزيرة شهيرة بالشاي – تعب.
٤ – احترمه (م) – نسقم – رأى بطرف عينه.
٥ – تحتضن (م) – يعرف – أساس.
٦ – نفوز – نلعب (م).
٧ – جدها في بافلوف – اكتمل – سهل.
٨ – مصائب – مشارك.
٩ – نقاش – سهر.
١٠ – تعب – علم مذكر – جدها في ويلات.
١١ – تعب – استقرار – أسبح.
١٢ – حرف أبجدي – قسطاط.

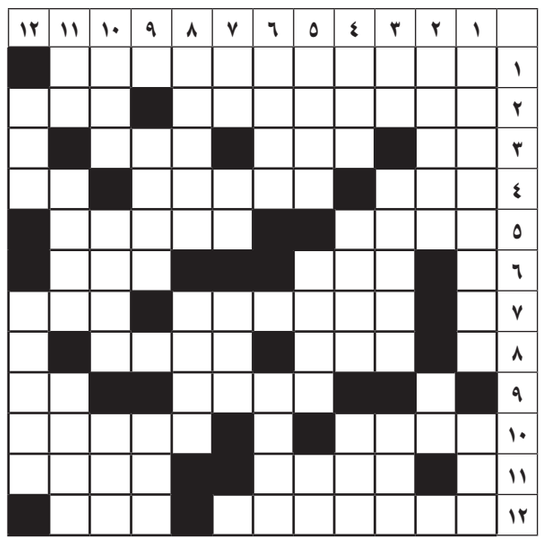

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	م	ي	ر	ف	ت	ا	م	ي	ن	■	ر	ح
٢	د	ع	■	ص	و	ر	■	ر	ق	م	■	م
٣	ر	ي	■	ي	ت	ب	س	م	■	ا	■	ي
٤	ي	د	ع	ل	■	ي	ر	ي	ق	■	ن	د
٥	د	■	م	هـ	م	■	ب	■	ط	ا	ط	م
٦	■	س	■	■	ن	ب	■	م	ا	س	■	ن
٧	■	ي	ع	ا	ب	ر	ل	ا	ر	ب	ا	ص
٨	ح	ل	ب	■	ت	ا	ا	هـ	■	■	و	و
٩	ن	ا	ي	س	■	د	■	ر	ر	ر	ر	ر
١٠	ي	ن	د	ب	■	■	ا	■	ن	ي	ا	■
١١	ن	■	■	■	ن	ح	ب	■	هـ	م	ق	ن
١٢	هـ	و	ي	د	ا	■	ن	ف	ا	هـ	■	م

كلمة السر

ا	ش	ا	ه	د	ن	ا	ه	س	ك	ن	ت
خ	ا	ل	ب	ط	ل	ة	ل	ط	و	ا	ل
ر	ب	ت	س	ت	ف	س	ر	ي	ن	ل	و
ف	ق	ا	ل	ب	و	ش	ا	ر	ب	ل	ا
ي	ي	ا	ن	ت	ف	ك	ر	ي	ج	ج	ن
ل	ت	ي	م	ي	د	ق	ل	ا	و	ل	ت
م	و	ا	ل	ش	ي	ب	س	م	ع	و	ا
ن	ت	ق	ر	م	ش	ي	ن	ا	ي	س	د
ع	ن	ا	ل	ت	ف	ا	ص	ي	ل	ل	و
ا	ل	و	ق	ت	ع	ق	ر	ب	ك	ي	ن
ف	ي	ا	ل	س	ي	ن	م	ا	ح	ي	ث
ا	ت	ذ	ك	ر	ي	ن	س	ا	ن	ت	ى

كلمة السر مؤلفة من ١٢ حرفاً: شاعر سوري راحل.

(أتذكرين آخر فيلم شاهدناه في السينما؟!... كنت أنت البطلة... حيث بقيت طوال الوقت تستفسرين عن التفاصيل... وأنت تقرمشين البوشار والشيبس دون أن تفكري بجوعي القديم للجلوس قربك..)

SUDOKU

		2	6	7			3	
		1	9				6	
		9	2					5
		6		5	7			1
		4			2	6		
5			1			8		
6					3	7		
	7				1	5		
	4			6	9	3		

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

7	9	5	3	8	1	2	4	6
4	8	6	2	9	7	5	3	1
3	2	1	5	4	6	9	7	8
9	1	7	4	5	3	8	6	2
8	5	4	6	1	2	7	9	3
6	3	2	8	7	9	4	1	5
2	4	9	1	3	5	6	8	7
1	6	8	7	2	4	3	5	9
5	7	3	9	6	8	1	2	4

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	١٢/٢٦°	١٠/٢٧°
حمص	١٥/٢٤°	١٤/٢٤°
حلب	١٤/٢٥°	١٣/٢٦°
اللاذقية	٢٠/٢٩°	٢١/٢٥°
السويداء	١٣/٢٤°	١١/١٩°
الحسكة	١٦/٣٢°	٢٠/٣١°

من هو؟

فنانة سورية: إذا جمعت الأحرف:

١ + ٢ + ٧: شعب
٦ + ٣: من الزهور
٥ + ٤: إله فرعوني

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

الحل السابق: نجاح حفيظ.